التشكيل الرحلي في رحلاتي بين الغرائب والعجائب – لعبد المنعم الديراوي –

The Structuring of Travel in My Journeys Between Wonders and Marvels by Abd Al-Mun'im Al-Dirawi

أ. د. شيماء خيري فاهم
أستاذ
جامعـــة القـادسية / كلية التربية
قسم اللغة العربية

Dr. Shaima Khairz Fahim
professor
University of Al-Qadisiyah / College of Education /
Department of Arabic Language

Shymaa.fahim@qu.edu.iq

الكلمات المفتاحية: التشكيل ، الديراوي ، رحلاتي بين العجائب والغرائب، أدب الرحلات، السرد الرحلي.

Keywords: structuring, Al-Dirawi, My journeys between wonders and marvels, Travel Literature, Travel Narrative

ملخص البحث :

الرحلة جنس أدبي مائز لأنه ينهل من حقول عدّة سياسية واجتماعية ودينية وثقافية لإنتاج معرفة واقعية بالأماكن المرتحل إليها وبعادات تلك الشعوب وتقاليدها .

فالرحالة في رحلاته الواقعية يحاول انتاج المعرفة المشاهدة والمسموعة بسرد يؤثث عمله الرحلي عن طريق التقرير والوصف والحوار والتضمين الحكائي الواقعي والمتخيل من دون أن تختل واقعية السرد أو تتعثر مصداقية الرحلة إذ إنَّ تنوع طرائق تقديم المعرفة يساعد على تحفيز القراءة ويفتح آفاق التواصل والتأويل .

يتناول البحث متناً رحلياً يتكون من خمس رحلات لعبد المنعم موسى الديراوي – كاتب وصحفي بصري المنشأ والسكن – ولكل رحلة ميزة خاصة وهدف خاص وبالتالي قدمت معرفة خاصة بكل بلد وقد كشفت هذه الرحلات ثقافة كاتبها واهتماماته ووعيه فيما يكتب وينقل وقد قسمت البحث على ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول النص الموازي وتخصص الثاني في فضاءات الرحلة وكان الثالث في تقنيات التشكيل المعرفي .

Abstract

Travel literature is a distinguished literary genre, as it draws from numerous fields—political, social, religious, and cultural to produce a realistic understanding of the destination, the customs and the traditions of its people. Throughout his actual travels, the traveler seeks to create knowledge based on direct observation and auditory experience. Through a carefully structured narrative, he enriches his travel writing using various techniques such as reportage, description, dialogue, narrative embedding, reflection, and imagination all while maintaining the realism of the narration and the credibility of the journey. The diversity of ways in presenting knowledge enhances reader engagement and broadens the horizons of communication and interpretation. This study examines a travel corpus composed of five journeys by Abd al-Mun'im Musa al-Dirawi, a writer and journalist from Basra. Each journey has its own distinctive feature and purpose, thereby providing unique insights into each country visited. These travels also reveal the author's cultural background, interests, and awareness as reflected in his writing and documentation. This study is structured into three main sections. The first section explores paratextual elements within the travel narratives. The second section focuses on the spatial dimensions of the journey. The third section examines the techniques of knowledge formation in travel literature.

المبحث الأول

النص الموازي

شكل مصطلح النص الموازي مدخلاً للنص عن طريقه يستطيع القارئ الدخول للنص والوقوف على دلالاته بوصفه ((نمطاً من أنماط المتعاليات النصية والشعرية ... فالنص في الواقع لا يمكننا معرفته وتسميته إلا بمناصه ، فنادرا ما يظهر النص عاريا من عتبات لفظية أو بصرية مثل أسم الكتاب ، العنوان ، العنوان الفرعي ، الأهداء ، الاستهلال ، صفحة الغلاف وهذا قصد تقديمه للجمهور أو جعله حاضرا إلى الوجود لأستقباله وأستهلاكه)) (بلعابد ، ٢٠٠٨ ، ٤٣ – ٤٤) ، فهو مجموعة من الدوال ((التي تعمل على الكشف عن ايدلوجيات المبدعين المتخفية في البنيات النصية العميقة والسطحية من خلال نتوءات علامية يتركها المبدع / منتج الأثر (الظاهر والمتخفي) على سطح منتجه بصورته النهائية ضاخاً فيها ايدلوجياته الخاصة المشكلة لخطابه الإبداعي العام الذي يروم تسويقه)) (التميمي ، ٢٠١٨ ، ٧٧ – ٧٨) ولكلِّ

عنصر من عناصر النص الموازي هدف يروم تحقيقه وأول تلك العناصر العنوان الرئيس الذي يمنح العمل الأدبي هويته الأسمية ليعرف بها ويحدد من خلالها .

وفي بعض النصوص يشير العنوان إلى التحديد الاجناسي وهذا ما لمسناه في عنوان النص المدروس إذ وسمه المؤلف بـ ((رحلاتي بين الغرائب والعجائب)) إذ يشير المؤلف إلى التعدد الفضائي فيما يقدمه من حصيلة معرفية متنوعة لأماكن متعددة ومفارقة في الوقت نفسه (بين الغرائب والعجائب) فهي رحلات تجاوزت الأماكن الاعتيادية والمألوفة لتكون بين أحضان العجيب والغريب فصياغة العنوان أعتمدت على أسلوب التلخيص الصحفي إلا أنها لا تخلو من العناصر التشويقية التي تثير القارئ إذ يتألف العنوان من المبتدأ (رحلاتي) والاخبار عنه بجملة ظرفية ذات طابع مكاني (بين الغرائب والعجائب) فصياغة العنوان تثير فضول القارئ ليبحث عن الفضاء الغريب والعجيب الذي أشره الرحالة في عتبة الرحلة وقد تعانقت لوحة الغلاف مع العنوان إذ جسدت بعداً بصرياً تشكل من لونين البرتقالي المتدرج الذي شكل خلفية اللوحة وفيه دلالة على التأمل والتفكير والمخاطرة والكشف واللون الأسود الذي شكل جسراً يعتليه المارة ذهاباً وإياباً إلى جانب الذين وقفوا للتأمل فالجسر هو عتبة غير ثابتة بالنسبة لمرتاديها فهو مكان للمرور وهكذا كانت رحلات الرحالة عتبات للمرور لا استقرار فيها عضدها اللون الأسود الذي يعزز دلالة المجهول والقلق والخوف من بعض الأماكن فالعنوان ولوحة الغلاف كان لهما أثر في القارئ وتحفيزه على مواصلة القراءة والوقوف على أسرار تلك الأماكن وخصائصها .

ومن العنوان إلى الأهداء الذي سجله الرحالة على وفق الآتي :

إلى روح أبي

كنت معلمي وملهمي

لن أنسى نبرات صوتك الحزينة في كل وداع ما حييت

صيغة الإهداء تتعالق مع العنوان من جهة ومع النص من جهة ثانية فهو مكتنز بدلالة الارتحال الدائم الذي يثير حزن الأهل والاحبة عند كل رحيل ولاسيما الأب الذي شكل المرجعية الأولى في الإلهام والتعليم فهو أيقونة الماضي والحاضر والمستقبل عند الرحالة .

وقد جاء التقديم لرحلات عبد المنعم الديراوي خارجياً بقلم (عبد الأمير الديراوي) وهو من أصدقاء الرحالة ويعد التقديم من الخطابات الموازية للنص إذ يساعد على تقريب طبيعة الجنس الأدبي للمتلقي ويعطي تصوراً عن الذات التي أنتجت النص من جهة (ينظر : حليفي ، ٢٠١٥ ، ٥٨) ، وقد سعى المقدم إلى التعريف بالرحالة وطموحاته التي كانت شبه مستحيلة في نظر أصدقائه إلاَّ أنّه حققها وواصل طموحه في الارتحال والكشف والتوثيق من دون أي دعم خارجي إذ كان يعتمد في رحلاته على أمواله الخاصة فخطاب التقديم كان احتفائياً سعى

فيه المقدم إلى التعريف بإنجازات الرحالة التي سجلها داخل المتن المكتوب القائم على تجارب عدّة عاشها الرحالة وكادت أن تودي بحياته .

الاستهلال :

أن الاستهلال هو عتبة الدخول إلى النص الرحلي وهي ((ترنو إلى الوضوح لإداء وظيفة دلالية عادية ومباشرة تحفيزية لتضمنها شحنة معلوماتية بكافة عناصرها الأولية)) (حليفي ، ٢٠٠٨ ، ٢١٥) تتسم بالأخبارية التي تفتتح السرد على وقائع حقيقية وفي بناءها التركيبي والجمالي يتحقق الانشغال بالتحفيز الواقعي الذي يثوي خلفه سمات المحتمل (ينظر : حليفي ، ٢٠٠٨ ، ٢١٥) .

وقادنا استقراء رحلات عبد المنعم الديراوي إلى أكثر من نوع استهلالي :

١- الاستهلال الاخباري الذاتي (سلطة المتكلم) :

إذ يقدم الرحالة من خلاله معلومات إخبارية مفعمة بمشاعره الداخلية وهواجسه الذاتية إذ يقول : ((**قبل أن أدخل إلى مبنى سفارة ميانمار في العاصمة الماليزية كوالامبور كنت متردداً قليلاً ولا أعرف لمَ الخوف والحذر الشديد الذي كان يعتريني ربما بسبب ما تناقلته وسائل الاعلام والكثير من المهتمين بشأن أقلية الروهينغا على صفحات التواصل الاجتماعي عن دموية حكومتهم بحق المسلمين الروهينغا وربما عدائيتهم للمسلمين بصورة عامة كما يشاع عنهم فدخول ميمانمار من قبل مسلم بحد ذاته تحدي ومجازفة وكيف بي وأنا وضعت برنامجا مسبقا للتجوال والتنقل بين مدنها ... وبعد أن أكملت الإجراءات القانونية الخاصة بتأشيرة الدخول تفاءلت خيرا ، فكل شيء على ما يرام ... استقليت في اليوم الثاني طائرة تابعة إلى الخطوط الجوية الآسيوية (Air Asia) متوجهاً إلى مدينة يانغون في ميمانمار / بورما وأنا أحمل بداخلي مشاعر مختلفة ... وخلال الرحلة التي أستغرقت ساعتين وعشر دقائق كنت العراقي والعربي الوحيد بين ركاب الطائرة الذي ربما يحمل مشاعر وهواجس تختلف عن هواجس ومشاعر بقية ركاب الطائرة ... أفكار شتى كانت تدور في مخيلتي إلى أن ايقظني صوت مضيفة الطائرة عن تلك الاحلام والأفكار المشتتة التي كانت بداخلي وهي تعلن عن بدء هبوط الطائرة في مطار يانغون الدولي في بورما/ ميانمار**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٧ - ٩) .

فسلطة الرحالة (المتكلم) تهيمن على النص كله فمشاعره الداخلية وهواجسه ومخاوفه من المكان وما يحدث فيه كان نتيجة لما سمعه من وسائل الاعلام التي أكدت على العداء بين المسلم والبوذي إلا أن اصراره على كشف المكان دفعه إلى المخاطرة استجابة لطموحاته الذاتية إذ خطط لها ووضع برنامجاً متكاملاً لزيارة ميانمار وتوثيق الأحداث الجارية فيها ومعرفة أسباب الصراع فيها والوقوف على مدى مصداقية وسائل الاعلام في نقل الأحداث لذا نجده يؤكد ذلك

من خلال ترجمة مشاعره ومخاوفه الذاتية التي أضفت على استهلاله تأثيراً وتحفيزاً ليتابع المتلقي حقيقة هذه المشاعر ومصداقية أحداث تلك البلاد وما يجري فيها .

٢- الاستهلال الاخباري (المعلوماتي) :

إذ يقدم الرحالة فيه معلومات مختارة بعناية تعمل على شد المتلقي وتحفيزه ليتواصل مع تلك المعلومات من ذلك استهلال رحلته (إلى جمهورية جنوب غرب أفريقيا سنة ١٩٨٠) يقول فيه ((**تقع جمهورية غرب افريقيا في الجزء الجنوبي الغربي لقارة افريقيا دخلت هذا البلد عام ١٩٨٠م وكان الحكم فيه عنصريا مقيتاً أنتهك فيه حقوق الإنسان وحقوق الشعب الأصليين فبعد هجوم فورستر العنصري على هذا البلد الآمن وحدوث معارك صاخبة غير متكافئة بين السكان الأصليين والقوات الغازية ... احتل الغزاة الجزء الجنوبي الغربي للقارة الافريقية ومن أبرز المجازر التي ارتكبها الغزاة هي قتلهم وبدم بارد لعشرات من قبيلة الزولو تلك القبيلة التي قاومت الغزاة بشراسة وبعد احكام قوات فورستر سيطرتهم على هذا البلد الذي يمتلك أكبر وأضخم ثروة طبيعية وهي الألماس ، قسموا الشعب إلى ثلاث درجات**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١١٤) .

تألف الاستهلال السابق من ثلاثة محاور : أولها التحديد المكاني وثانيهما التحديد الزماني لدخول الرحالة إلى هذه الجمهورية وثالثهما معلومات توثيقية ذات طابع سردي لأحداث مهمة غيرت حال البلاد وقلبت موازين الأمور فتحول البلد الآمن المستقر إلى بلد طبقي يحكمه المحتل ويحدد مصيره بسبب لعنة الماس التي يمتلكها .

فبالرغم من واقعية الاستهلال السابق إلاَّ أنّه أكتنز بالمعلومات الأكثر آثارة ليضمن تواصل المتلقي مع الرحلة واستمرار عملية القراءة .

٣- الاستهلال الاخباري (الذاكرتي) :

بتأسس الاستهلال الذاكرتي على بعد معرفي تقوم الذاكرة فيه على إعادة تنسيق المعلومات وتنظيمها لتشكل أبعاداً دلالية تحرك إدراك المتلقي ليتابع قراءة الرحلة والتعرف على الصور والدلالات التي يسردها الرحالة (جبار ، ٢٠١٧ ، ١٥٠) لاسيما أن ((قصدية الذاكرة تتجه نحو الحقيقية السابقة أو الواقع السابق وتؤلف القبليَّة السمة الزمنية بأمتياز للشيء المتذكّر أو للمتذِكر بوصفه كذلك)) (ريكور ، ٢٠٠٩ ، ٣٤) وهذا يجسد حقيقة المعرفة التي تقدمها الذاكرة واقترابها من الأصل وارتباطها بالإدراكات الحسية (ينظر : عويز ، ٢٠١٧ ، ١٥٠) وهذا ما وجدناه في بداية رحلته إلى موريتانيا إذ يقول ((**في سلسلة رحلات ذهبت بها مع القراء إلى عدد من البلدان في ارجاء المعمورة حاولت جاهدا سواء بما نشرته في الصحف أم في مواقع التواصل الاجتماعي أن أنقل وبصدق مشاهداتي وملاحظاتي وانطباعاتي التي احتوتها دفاتر مذكراتي وما تحمله ذاكرتي حول عادات وتقاليد تلك الشعوب واليوم أذهب مع القارئ إلى بلاد**

(شنقيط) هذه التسمية التي ربما غريبة على البعض ولكنها تسمية قديمة لدولة موريتانيا ويوصف هذا البلد بـ (بلاد المليون شاعر) لكثرة الشعراء ومحبي الشعر ، موريتانيا هو ذلك البلد الافريقي الذي يغفو على رمال الصحراء القاحلة وكثبانها الرملية وعلى هدير أمواج المحيط الأطلسي غرباً)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٩٧ – ٩٨ واستهلال رحلته لاس بالماس : ١٣٢) .

فالرحالة أعتمد على الذاكرة أولا وعلى ما دونه من ملاحظ وانطباعات خاصة قامت على المشاهدة الحقيقة الواقعية التي حدثت في زمن سابق لزمن التدوين لتحويل هذه المرجعيات إلى كتابة نصية يقدمها للقارئ وبطريقة الاغراء التحفيزي عن طريق الاعتماد على منبهات أسلوبية مثل الجملة الاشهارية (بلد المليون شاعر) وهذا دليل على سموها الأدبي وارتفاع شهرتها الثقافية إلى جانب الوصف المكاني الذي يجعل القارئ متشوقاً لمعرفة تفاصيل ذلك المكان الذي يقع بين رمال الصحراء وأمواج البحر .

فالرحالة يستهل نصه السردي بـ ((ميثاق تواصلي مع متلقيه مؤكداً أنه لن يخبره إلا بما ادركه واستوعبه يقيناً)) (جبار ، ٢٠١٧ ، ١٥٥) ، إذ يخبر القارئ فيه بحدث واقعي وتجربة سفارية تحققت ثم عمد إلى نقل مشاهداته ومعايشته لتلك الأماكن وما فيها من عادات وتقاليد وموروثات وهذا ما بينه متن الرحلة التي اعتمدت على الوصف والحوار في أكثر فقراتها السردية لينقل من خلالهما ما وعد القارئ به في استهلاله .

٤- الاستهلال الحواري الافتراضي :

يتشكل هذا الاستهلال عن طريق قارئ افتراضي يوجه له الكلام وهو نوع من أنواع الحوار الضمني الذي يفترض مُخاطباً يفتح السرد لأجله لأن وظيفة الاستهلال الضمني الاخبار والتأسيس لجسور وروابط في الجمل الأولى (ينظر : حليفي ، ٢٠٠٨ ، ٢١٧) ، وهذا ما يلمسه القارئ في رحلة عبد المنعم الديراوي إلى المعابد إذ يقول **((قد يظن القارئ للوهلة الأولى ومن خلال الموضوع أن ما تحقق من معلومات قيمة في رحلة المعابد كان بيسر وبساطة وأن الترحال هو أمر هينا ولكن الحقيقة هي غير ذلك فأدب الرحلات هو عالم غريب علينا والولوج فيه يتطلب أصرار وعزما قويين وإرادة لن تثنيها العقبات التي قد تعترض طريق الرحلة ، ناهيك عن آثارها السلبية المستقبلية على الرحالة نفسياً لأنه يدخل لعوالم لم يألفها من قبل فيجب أن يكون مستعداً لتقبل كل جديد والتأقلم معه لكي يحصل على مبتغاه في رحلته وعلى الرحالة أن يضع في أولويات نشاطاته اليومية التعامل بود مع الجميع دون استثناء وأن لا يظهر انزعاجه من أي شيء يصادفه إضافة إلى التزامه ببرنامج الرحلة الذي كان قد أعدّه قبل الشروع بها))** (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٤٣) .

يسعى الرحالة إلى توجيه خطابه إلى قارئ افتراضي ليصحح ظنونه الخاطئة عن أدب الرحلة إذ يؤكد على أهمية هذا الجنس وصعوبته في الوقت نفسه لأنه يقوم على تجربة واقعية تتطلب من الرحالة الصبر والإرادة والاستعداد وقدرة خاصة على معايشة الآخر والتصرف بود معه مهما كان مختلفاً وكبح جماح النفس حتى لا يقع في المشاكل أثناء الرحلة إلى جانب التدقيق في المشاهدات وتوخي الحقائق قبل تحويلها إلى نص مكتوب فهدف الرحالة إثارة القارئ الحقيقي وتحفيزه عن طريق الحوار الضمني الذي يستبطن مشاعر الرحالة وأفكاره لتكون عتبة نصية يعبر عن طريقها إلى عوالم الرحلة واماكنها ذات الطابع القدسي بمعتقداتها المختلفة .

نخلص من ذلك إلى أن الاستهلال في الرحلة الأدبية يتميز بالتنوع على الرغم من هيمنة الطابع الاخباري عليه إذ يرتبط بالذات الواقعية (الرحالة) التي تسعى إلى جذب المتلقي بطرائق عدّة فمرة عن طريق سلطتها المطلقة على النص ومرة عن طريق المعلومات الثرة حول الفضاء المكاني وما فيه ومرة عن طريق الاسترجاع الذاكراتي الذي يسعى إلى تأثيث الاستهلال بالخزين المعرفي الذي تحتويه الذاكرة عن طريق الانتقاء والترتيب ومرة عن طريق البداية الدرامية الافتراضية إذ يدعوه بطريقة غير مباشرة إلى متابعة السرد ومعرفة دلالته والوقوف على مضمراته.

المبحث الثاني

فضاء الرحلات

قامت رحلات عبد المنعم الديراوي على فضاءات متنوعة وشكل كل فضاء اطاراً رئيساً تفرعت عنه فضاءا داخلية انطلق فيها الرحالة ليسجل مشاهداته وتجاربه لتعضيد دلالة ملفوظه ونقلها إلى المتلقي فهو ((الفضاء – الصورة ، الذي تمثله الرحالة زمن الرحلة وتذكره في زمن لاحق ، وقدمه عبر ملفوظه مؤتثا بالتمثلات التي ترسخت بذاكرته وهو يستحضره في زمن السرد)) (جبار ، ٢٠١٧ ، ٥٣) ، وقد تشكلت رحلات عبد المنعم الديراوي من فضاءات رئيسة هي :

١- الفضاء الأول : رحلة إلى ميانمار – بورما :

مثلت هذه الرحلة المسار الأول في السرد إذ أنطلق فيها الرحالة – السارد من مطار كوالامبور إلى يانغون ثم العودة إلى كوالامبور هذا هو الفضاء الإطار لرحلته متضمنة رحلات داخل ميانمار لزيارة مدن عدّة مثل مندلاي (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٩) وانلي (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٦١) وياغو (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٧٥) وعمل على وصفها من النواحي العمراني والاجتماعية والاقتصادية والدينية فالوصف هو الأداة الرئيسة التي يصل عبرها الرحالة إلى مقاربة الصورة التي سجلتها ذاكرته أثناء زيارته المكان وقد أكد الرحالة على الدافع الذي جعله يقوم بهذه الرحلة

في بداية سرده هو ((**معرفة حقيقة جرائم قتل المسلمين الروهينغا على يد البوذيين**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٦) لذا عمد على عرض الآراء المختلفة وبأصوات عدّة ومن جنسيات مختلفة ليكشف هذه الحقيقة ويوضحها للمتلقي وقد حرص أثناء تنقله بين هذه الفضاءات على زيارة المساجد والمعابد والاديرة ووصفها بدقة وتقديم إحصاءات دقيقة عن طلبتها ووصف طريقة تعاملهم مع السياح رغبة منه في الوصول إلى حقيقة الصراع الذي ارتحل من أجل معرفته والوقوف على أسبابه فكانت تلك الرغبة حافزاً لتوليد مادة النص اللاحقة من جهة وتحفيز عملية التلقي من جهة أخرى إذ يجد القارئ نفسه يتابع بشغف النص السردي ليقف على مكوناته السياسية والاجتماعية والتاريخية ليظفر بالحقيقة التي يقدمها النص ووعد الرحالة بالكشف عنها بطريقة غير مباشرة أثناء سرده لأحداث الرحلة .

وقد تنوعت طرائق تقديم السرد في هذه الرحلة بين السرد الوصفي والسرد الحواري والسرد التسجيلي (التقريري) الذي شكل نتيجة لهذه الرحلة ، لخص فيه أسباب الصراع بين المسلمين والبوذيين في بورما ، إذ تعود إلى حملة الاحتلال البريطاني عام ١٨٥٢م إذ ((**واجه المسلمون [في أراكان] الاستعمار البريطاني بعنف مما جعل برطانيا تخشاهم أكثر من البوذيين فبدأت حملتها الواسعة ضد المسلمين في أراكان وأولها زرع الفرقة بين الديانات المختلفة لأضعافهم فأشعلت الحروب بين المسلمين والبوذيين وأساءت للمسلمين شر إساءة**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٨٧) ، من هذه الإساءات طرد المسلمين من وظائفهم ومصادرة أملاكهم وأراضيهم الزراعية وزجهم في السجون وتحريض البوذيين ضد المسلمين وتزويدهم بالسلاح حتى أوقعوا مذبحة سنة ١٩٤٢م راح ضحيتها مائة مسلم وأغلاق المدارس والمحاكم الشرعية ونسفها بالمتفجرات حتى بعد حصول بورما على الاستقلال ١٩٤٨م سلمت السلطة كاملة للبوذيين الذين نهجوا النهج البريطاني مع المسلمين لأنهم يرون أن مسلموا (اراكان) الذين يطلق عليه (الروهينغا) ليسوا بورميين وإنما نزحوا من بنغلادش وبلاد أخرى وعليهم مغادرة بورما فالصراعات الدائرة في بورما إلى هذا اليوم هي صراعات عرقية لا سياسية (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٨٧ – ٩٠ وللمزيد ينظر : ٩٤ – ٩٥) .

حاول الرحالة تقديم صورة للعلاقة بين الطرفين وحدد أسباب الصراع ومكانه ومرجعياته وقدمها للقارئ معتمداً في ذلك على طريقين الأول منهما الاكتشاف العيني المباشر وثانيهما محاورة الآخر ومسآلته ولذا تنوعت الجنسيات التي أستفهم منها فكانت قريبة وبعيدة بوذية وهندوسية ومسلمة وغيرها من الجنسيات لتتضح الرؤية إلى جانب قراءته للتاريخ المعاصر ومحاكمة ذلك التاريخ بالمشاهد والمسموع من مصادره الأصل ليسجل الحقيقة على وفق سياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي .

٢- الفضاء الثاني : رحلة إلى موريتانيا :

اعتمد الرحالة في تدوين هذه الرحلة على الاسترجاع الذاكراتي إذ شكل الوصف فيها مرتكزاً سردياً وقف فيه السارد على البعد المكاني إذ يقول : ((**موريتانيا هو ذلك البلد الافريقي الذي يغفو على رمال الصحراء القاحلة وكثبانها الرملية وعلى هدير أمواج المحيط الأطلسي**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٩٨) ، ثم توقف على البعد الاجتماعي قائلاً ((**أما المجتمع الموريتاني فهو مجتمع بدوي اعتمد الكثير من سكانه على رعي الأبل ومن يعيشون على الحدود المتاخمة مع السنغال فيمتهنون الزراعة وبالنسبة لسكان المدن الساحلية فهناك عدد كبير منهم يعيش على صيد الأسماك ... تركيبة المجتمع الموريتاني فأنها تتكون من أربعة فئات وهي فئة الحدادين وفئة حملة السلاح وفئة النجارين وفئة الفنانين**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٩٨ – ٩٩ ، وقد ذكر الرحالة قضايا اجتماعية كالزواج : ١٠٠ ، وآداب الضيافة : ١٠٤) وفي البعد الديني بين الرحالة أن الإسلام هي صفة البلاد ونظام الحكم فيها (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٠٧ – ١٠٨ ، ١١٢) ثم بين عشقهم للشعر نظماً وحفظاً (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٠١) وأكثر جلساتهم قائمة على المطاردات الشعرية (الديراوي ٢٠١٩ ، ١٠٢) ، طبع السرد في هذه الرحلة بالطابع التسجيلي الاخباري لكنه لم يخلُ من بعض الغرائب التي تميز تلك البلاد التي استوقفت الرحالة لعدم اعتياده عليها وآثر أن ينقلها إلى المتلقي ليطلع على المختلف الذي شاهده وعايشه في تلك الرحلة وهذا ما يجعل الرحالة يتجاوز الدلالة التسجيلية الإخبارية لتكون خطاباً ذاتياً معرفياً تتخذ من السرد ذريعة لبناء المعرفة والاستدلال على مصداقيتها (ينظر : جبار ، ٢٠١٧ ، ١١٤) .

٣- الفضاء الثالث : الرحلة إلى جنوب غرب افريقيا :

تتأسس هذه الرحلة على مجموعة من الاخبار والمعلومات التي بينت انقلاب حال هذه البلاد بعد سيطرة القوات الغازية التي عملت على اقصاء السكان الأصليين عن أماكنهم وزرع العنصرية عن طريق تقسيمها الشعب على ثلاث فئات هم ((**المواطنون الاصليون ذوي البشرة السوداء الدرجة الثالثة وهم سكان البلاد الأصليين فيتم اسكانهم قسريا في مجمعات سكنية أنشأتها الحكومة بعيداً عن مراكز المدن ومحاطة بسياج شائك ولها بوابة واحدة للخروج والدخول ويمنع هؤلاء من مغادرتها مهما كانت الأسباب ويتم نقل العاملين منهم إلى المعامل وأماكن عملهم بواسطة شاحنات وليس بباصات نقل ركاب ويتوجب على كل واحد من هؤلاء أن يعلق في رقبته باجا تعريفيا بأسمه واسم الشركة أو المكان الذي يعمل فيه**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١١٦) ويؤكد الرحالة من خلال معايشته في هذه البلاد أن أجور السود زهيدة لا تسد احتياجاتهم اليومية (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١١٧)، وقد عملت الحكومة على إفساد منظومتهم الأخلاقية عن طريق ترويج المخدرات رخيصة الثمن (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١١٨) .

فالرحالة وهو يقدم تلك المعلومات لم يتجرد من ذاتيته بل كان لها أثر في انتاج السرد وتنسيقه لأنه ((يؤسس معرفة دقيقة وخاصة حول مجموعة من القضايا من خلال التعليق والمقارنة والاستدلال والقبول والرفض ... وهي تقصد إلى توجيه إدراك المتلقي وضبط معرفته في اتجاه محدد وهو يتلقى الرحلة)) (جبار ، ٢٠١٣ ، ٢٦٠) ثم تتوالى أوصاف الرحالة السارد لفضاءات الرحلة ووصفها وصفاً دقيقاً لا يخلو من سرد حكائي وحوارات خارجية وتساؤلات داخلية تدور في ذهن الرحالة عندما يكون بمفرده يتأمل الأحداث التي عايشها والمفارقات التي حصلت له .

٤- الفضاء الرابع : رحلته إلى لاس بالماس :

يقدم الرحالة هذا الفضاء بتحديد دقيق لزمان الرحلة ومكانها ليبرهن للمتلقي واقعية الرحلة فيقول : ((**وطأت قدماي أرض جزيرة لاس بالماس عام ١٩٨٤م التي هي واحدة من أهم الجزر في مجموعة جزر الكناري الاسبانية قبالة السواحل الغربية المطلة على المحيط الأطلسي**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٣٢) .

قام الرحالة بوصف صورة لفضاء مختلف مكانياً لما يتمتع به من خصائص جمالية رسمها بطريقة دقيقة إذ حول المرئي والواقعي إلى صور سردية نابضة بالحياة أعتمد فيها على وصف الأماكن والشوارع والمقاهي والنساء والعلاقات الإنسانية (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) فمكونات الفضاء التي جسدها الرحالة بلوحات سردية تضع المتلقي أمام مقارنة مؤلمة بين ما يعيشه الآخر في جزيرة صغيرة تتمتع بمقومات الحياة بأرقى صورها وبين ما يعيشه العراقي الذي يمتلك الثروات الطائلة لكنه يعيش الحياة بأسوء صورها فالرحالة عندما يكتب يختار الانساق بعناية ليمرر عن طريقها خلجاته الذاتية التي تعتصر آلماً وهي تشاهد الآخر أين وصل في العمران والحضارة والنظام والعلاقات الإنسانية الرفيعة والذات والنحن لاتزال تتراجع في بلد النفط والزراعة والثروات إذ أصبحت تلك الثروات عبئاً وسبباً في تراجع الحضارة والعمران والقيم الإنسانية .

وكذلك وقفت الرحالة في هذا الفضاء على بعض الحكايات الغريبة (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٣٩ – ١٤٠) وحاول نقلها كما سمعها أو شاهدها فالسماع والمشاهدة هما من وسائل التوالد السردي في الرحلات الأدبية .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرحلة لم تعنون باسم المكان وإنما عنونت باسم (لوليتا) وهي أحدى أيقونات المكان بطلة أحدى القصص وهي امرأة حقيقة كبيرة في السن لكنها جميلة وأنيقة كما وصفها الرحالة كانت تدور بسلتها المليئة بالعلكة فيلتقط السواح ورواد المقاهي معها الصور التذكارية ويأخذون منها علكة لقاء بعض المال وكانت تفتخر بأنها لوليتا وأنتهت الرحلة

بموتها وجنازتها التي أحزنت الجزيرة وجعلتها في حداد (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٣٥ – ١٣٨ ، ١٤٢) ، فأنفتاح الرحلة يسمح بأحتواء السرد والتقرير والوصف الواقعي والمتخيل من دون أن تختل واقعيته أو تتعثر حركة السرد فيها .

٥- الفضاء الخامس : رحلة المعابد :

أن هذه الرحلة قامت على دافع اختياري هدف من خلاله الرحالة الكشف عن بلاد العجائب إذ يقول ((**فقد اخترت الهند أولاً والنيبال ثانيا بسبب المعتقدات الدينية المختلفة والغريبة علينا والتي كانت تثير التساؤلات دائماً لغرابة العديد منها ولكون الهند يعتبر (بلد العجائب) بين البلدان الأخرى ولكون الصورة لم تتضح لنا من قبل أيضاً ... وقد تحققت ثلاث مراحل (ثلاث سفرات) واستغرقت العمل فيها أكثر من أربع سنوات ما بين التحضير والاعداد والسفر ... وخلال الجزء الثالث من الرحلة قطعت مسافات بعيدة تجاوزت عشرة آلاف كيلومتراً بمختلف وسائط النقل البرية من قطارات وسيارات وتوكتوك وحتى عربات تجرها الثيران إضافة إلى الزوارق النهرية لأطلع على شبه القارة الهندية من غربها إلى شرقها ومن وسطها إلى جنوبها ولأعود بعدها بكنز ثمين من المعلومات التي كنا نجهلها حيث دخلت خلالها معابد مختلفة للهندوس والبوذيين والسيخ ومساجد للمسلمين سنة وشيعة ناهيك عن الصروح التاريخية وأبرزها تاج محل وقصر شاه جاهان وتاج محل الصغير ... ومعبد الفئران ... ومدينة جبل بور التي أعتقد بأن آدم عليه السلام عندما أُخرج من الجنة هبط في هذه المنطقة من الهند**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٤٣ – ١٤٤) .

يسرد الرحالة أسباب اختبار تلك الفضاءات للوقوف على حقائق المعتقدات الدينية التي سمع بها واستغرب رواياتها لذا أراد أن يقف على حقيقة تلك المعتقدات ويعرف مرجعياتها لذلك بذل جهداً كبيراً في الاعداد والتحضر لتلك الرحلات وزمناً ممتداً لأربع سنوات فقدم للقارئ حصيلة معرفية ثرة مبنية على المشاهدة والتحقيق الدقيق لتلك المعتقدات فأورد معلومات ذات الاتجاه الديني المبني على معتقدات مختلفة ثم بين علاقة هذا الاتجاه بالاتجاهات الأخرى لاسيما الاجتماعية والسياسية والثقافية .

شكلت المعابد مراكز دينية للأماكن الموجودة فيها وأظهرت صورة واضحة للمعتقدات الدينية التي تمارسها تلك الشعوب ثم بين الرحالة أصل تلك المعتقدات وروابطها الأسطورية القديمة وكيف أقامت تلك العبادات أسساً متخيلة وبمرور الزمن أكتسبت شرعية اعتقادية وأصبحت طقوساً مقدسة فمتلقي رحلة المعابد يشعر بتناغم الواقعي والتخييلي في خطاب الرحلة إذ ((يندمج المتلقي وهو يقرأ رحلة تغذيها ذخيرة من اليقين الواقعي والاحتمالات وأيضاً من الحركة والمفاجآت والعجائب في نسيج البناء ويصبح منتجاً لصور ذهنية بواسطة التمثيل والتخييل تتحول إلى تركيبات طوعية ... بموازاة الصور المنجزة في النص))

(حليفي ، ٢٠٠٨ ، ٢٧٦) فالسرد التخييلي لا يؤثر على واقعية الرحلة ولا يزعزع ثقة القارئ بمصداقية المكتوب لأنها عادات ومعتقدات وتقاليد شعوب مختلفة وهذا يساعد على تحفيز ذائقة المتلقي – لأننا نميل إلى الغريب وغير الواقعي – ويفتح آفاق التأويل لديه .

المبحث الثالث

تقنيات السرد المعرفي

أن السرد الرحلي يعتمد على تصوير الآخر عن طريق مرآة الذات فدخول الرحالة إلى الآخر يكون مبنياً على ((التجربة والمرئي والمعيش وهي صورة بعدية أي بعد الرحلة وليست سابقة على فعل السفر)) (الساوري ، ٢٠١٤ ، ١٥٢) لذلك تتنوع تقنيات السرد في الرحلة الأدبية لتصنع قراءة النص المتعدد الأنظمة – حواراً ووصفاً ومحكيات – متعددة المصادر والرواة تحكمها بنية السفر وما تفرزه من خصائص أسهمت في تشكيل الرحلة وبناءها (ينظر: مودن ، ١٩٩٦ ، ٥٣) .

وسنقف على أظهر التقنيات السردية في كتاب (رحلاتي بين الغرائب والعجائب) والتي تتوزع على الآتي :

١- الحوار :

شكل الحوار في رحلات عبد المنعم الديراوي مهيمناً نصياً حاول عن طريقه الوصول إلى الحقائق التي كانت سبباً لارتحاله لأنه ((من أهم مواطن تعدد الأصوات في النص السردي ... وينهض بوظائف متعددة كالإيهام بالواقع والوصف ورسم ملامح الشخصيات ودفع الركة القصصية والإسهام في بناء الحكاية)) (القاضي ، ٢٠١٠ ، ١٥٩) .

ففي رحلته إلى بورما كان الحوار وسيلته للكشف عن الآخر ووجهة نظره فيسجل أحد حواراته ((**جلست مع سائق التكسي في مقهى صغير يقع بجوار المعبد لاستريح قليلاً وتناولت قدحاً من عصير قصب السكر سألني صديقه الذي كان يجلس معه ويبدو أنه سائق تكسي أيضاً وينتظر زبائنه الذين دخلوا المعبد سألني عن رأي بالمعبد ... سؤاله بريئاً ولكن نواياي كانت تهدف إلى الحصول على معلومات أكثر قلت له زرت سابقاً معابد بوذية كثيرة بالهند والنيبال ولاوس وجزر أندمان ونيكوبار لم أجد أروع وأقدم من معابدكم أنها جميلة ورائعة وبادرته بعد اجابتي بسؤال آخر أيضاً يبدو لي أنك بوذي :**

قال : نعم

هل يسعدك سؤالي

قال : نعم

سألته : عندما تدخل المعبد البوذي هل تؤدي التحية لبوذا فقط ؟ أم تطلب تحقيق أمنية ورزق أو أمنيات أخرى ؟ قال أؤدي صلاتي التي قد تقربني من بوذا وإدائي للصلاة أن كان بصدق ومن أعماق روحي وإذا كانت روحي نقية سيتقبل صلاتي ويتحقق ما كنت أريده دون أن أطلب شيئاً خلال وقوفي أمامه : المقهى كان فارغا ... الذي جعل صاحب المقهى يستمع لحديثنا وبفضول منه تقرب مني مبتسماً وهو يقول حديثكم جميل جداً ثم سألني من أي بلد أنت أجبته من العراق ، قال : إيران قلت له يبدو أن الغالبية هنا لا يفرقون بين إيران والعراق فهما دولتان مختلفتان إيران دولة الحكم فيها إسلامي أما العراق فأن نظام الحكم فيه يختلف عنهم كثيرا .

سألني : هل أنت مسلم

نزل سؤاله علي كالصاعقة وأنا في هذه القرية البعيدة وبدلاً من أجيبه عن حقيقة ديانتي سألته لأتحاشى الإجابة وماذا تستفيد إذا قلت لك أن [مسيحياً أو هندوسياً أو بوذياً] أو غير ذلك (تقصدت أن لا أذكر الدين الإسلامي)

... قلت له : قبل أن أسافر لبلدكم حذرني بعض الأصدقاء من ميانمار وقالوا بأن فيها مشاكل كثيرة نظر يمنة ويسرة ثم قال هناك مشاكل في بعض المناطق وهي مناطق صغيرة جداً وبعيدة من هنا سكانها غرباء نزحوا إلى ميانمار من بلدان إسلامية ويثيرون المشاكل مع الحكومة والجيش .

سألته : لماذا يثيرون المشاكل ؟

قال : أعذرني لا أعرف التفاصيل فلم أسمع عن تلك المشاكل قلت له تقصد مسلمو الروهينغا ؟ قال : مبتسماً : يبدو أنك تعرفهم أو سمعت عنهم ... أنت قلت هم مسلمون ويثيرون المشاكل مع الحكومة ولكني شاهدتُ اعداداً كبيرة من مساجد المسلمين في المدن التي مررت بها ... هل هؤلاء يثيرون المشاكل ؟! وهل حدثت مشاكل بين هؤلاء المسلمين والحكومة ؟ قال : هؤلاء يختلفون عن الروهينغا فالروهينغا غرباء أما هؤلاء فيعيشون معنا نحن البوذيين بسلام ، قلت له وأنا أبتسم يبدو إننا سنتحدث فقط عن المسلمين مع العلم هناك ديانات أخرى في ميانمار قال : من تعاليم ديننا أننا يجب أن نعيش بسلام ميانمار بلدنا نحن البوذيين ولكن لأجل السلام سمحنا للمسلمين والهندوس وديانات صغيرة أخرى بالعيش معنا)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٣٧ – ٤٣) .

الحوار طويل حرصت على نقله لأبين أهميته في كشف الأنا والآخر فالأنا (الرحالة) حرص على الوصول إلى مبتغاه عن طريق الأسئلة الموجهة إلى الآخر سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة .

فما يلفت الانتباه عدم تصريح الأنا بهويتها الدينية ومحاولتها تغيير إطار الحديث لتبقى هذه الهوية طي الأضمار والأمر الآخر الذي أظهرته الأنا (الرحالة) هو نظره الآخر إلى العراق على أنه جزء من إيران لذا حاول تصحيح تلك النظرة وقد كانت صورة الآخر التي كشفها الحوار والتواصل الكلامي صورة إيجابية فالبوذي مثقف متسامح يحب العيش بسلام يعترف بالأديان الأخرى ويحترمها وخلاصة المشاكل الموجودة والمعلن عنها في منطقة واحدة سببها المسلمون الغرباء الذين جاءوا من أماكن مختلفة .

فالحوار كان خياراً واعياً لمعرفة الآخر وتفسير خصوصياته من دون الهجوم عليه والسخرية منه أو من معتقداته فالرحالة في حواره كشف احترامه للأديان واعترافه بخصوصية كل معتقد ديني والاعجاب بمعابدهم وعمرانهم وتنظيمهم وانفتاحهم مع السياح الأجانب والسماح لهم بالتصوير والإجابة عن أسئلتهم وكأن الرحالة في هذا الاعجاب بعقد مقارنة مضمرة بين البوذي وبين بعض المسلمين وشيوخ المساجد في دولة ميانمار الذين تعاملوا معه بتعالي ولم يكترثوا لأسئلته ومنعوه من التصوير ومن الدخول إلى بعض الأماكن (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٢٦ – ٢٧) ، فالحوار السابق وفي أكثر من فقرة يؤكد على التعايش السلمي بين البوذيين والمسلمين (ومن الحوارات التي تؤكد التعايش السلمي ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٦ – ١٧ ، ٥١ – ٥٤ ، ٥٨ – ٥٩) وأن البوذيين يحترمون شعائر المسلمين ويسمحون لهم بإقامتها مع أنهم أقلية نسبة إلى البوذيين .

ومن الحوارات الأخرى التي قام بها الرحالة من أجل الوصول إلى حقيقة الصراع حواره مع شخص صيني وبطريقته الصحفية في الكلام حاول استدراجه ليحصل على الإجابات التي تشبع نهمه المعرفي وبعد مجموعة من الأسئلة التي سألها أثناء تناولهما للعشاء حصل على اجابتين أولهما أن الحكومة غير مرغوب فيها من قبل الشعب إذ استلمت السلطة بأنتخابات مزورة وهذا يفسر خوف الشعب وتحاشيه الكلام أمام السياح وثانيهما أن المشاكل في مدينة أراكان لازالت مستمرة وأكثر القتلى من المسلمين ولكن الاعلام فيها حكومي (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٧٨ – ٨٣) وهكذا تضيع الحقائق وتشوه صورة المسلمين أمام الرأي العام ، فالحوارات التي حرص الرحالة على تضمينها في رحلته هدفها تقديم المعرفة الحقيقية عن طريق عرض الآراء والمواقف التي جمعها من الآخرين بمختلف جنسياتهم.

ويواصل الرحالة حواراته المعرفية ليكشف للقارئ الحقائق كما سمعها أو شاهدها لأنه يبحث عن هوية الآخر ومعتقداته وكيفية تشكلها لذلك يكون الحوار آلية مهمة للكشف عما يبحث عنه ففي رحلته إلى المعابد يكشف عن طريق الحوار الذي دار بينه وبين الذي امتهن حرق جثث الموتى عن نوع الخشب وكميته الذي يستعمل لحرق كل جثة ((**قال أن أنواع الأخشاب التي تستخدم بالحرق تختلف حسب الحالة المادية لعائلة الميت فهناك أثرياء**

تستخدم في حرق جثثهم أخشاب الصاج والصندل وهي باهضة الثمن ، أما الطبقة المتوسطة فتستخدم أخشاب متوسطة الثمن والفقراء تحرق جثثهم بجذوع أشجار رخيصة الثمن ... وأضاف بأنه يضع مع الاخشاب أنواعاً خاصة من البخور من كيلوغرام واحد أو أكثر)) (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٥٦ وهناك حورات أخرى تكشف المعتقدات وتبين العادات الاجتماعية : ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٨) ، نلحظ أن الرحالة يبين أن الممارسات الطقوسية التي تسجل نهاية الآخر لم تخلُ من الطبقية فالرحالة يبتعد عن تسجيل رؤيته الذاتية ويترك الآخر يعبر عن نفسه عن طريق الحوار الذي كشف في بعده الأول عادات طقوسية خاصة بالهندوس إلا أنها في بعدها الثاني حركت في ذهن الرحالة ما يقوم به أبناء بلده من استعراض ولائمي عند وفاة أحد الأشخاص وفي كثير من الأحيان تثقل كاهل العائلة وتضعها في موقف محرج من أجل إرضاء عادات اجتماعية فارغة .

٢- الوصف :

يمثل الوصف تقنية معرفية في السرد الرحلي لأنه أساس الرحلات (ينظر : فهيم ، ١٩٨٩ ، ١٩٣) إذ ((يجئ كل وصف مذوتاً وطموحاً لإظهار الموضوعية والالتزام بها خصوصاً حينما يتعلق الأمر بسرد رحلة ذات مرجع واقعي ... فكلما كانت الأوصاف ثرية بحمولتها المعرفية وأسئلتها القادرة على النفاذ إلى كنه الصور والموصوفات استطاعت أن تغذي مخيلة المتلقي وتجعل التواصل مستمراً)) (حليفي ، ٢٠٠٨ ، ٢٩٦ – ٢٩٧) وقد تنوعت قيم الوصف في رحلات عبد المنعم الديراوي منها :

أ- **القيمة الديكورية** : وفيها يكون الثبات واضحاً عن طريق الوصف التصويري إذ تتحول الصورة إلى جزء من ديكور الرحلة (ينظر : حليفي ، ٢٠٠٨ ، ٣٠٠) ، من ذلك وصفه لدير (مهاجاندا ريون) إذ يقول **((وهو أكبر دير في مدينة مندلاي يأوي هذا الدير أكثر من ألف تلميذ بوذي تم فتحه أمام السياح ليطلعوا على جانب من حياة التلامذة البوذيين الذين كانوا من مختلف الأعمار والمراحل الدراسية الدينية ... يشغل عدة دونمات من الأرض وتم بناء قاعات السكن وقاعات الدراسة بنسق جميل وزادتها جمالاً تلك الأشجار العالية التي تغطيها وشاهدت خلال زيارتي هذه التي سبقني لها عشرات السياح ومن مختلف الجنسيات عملية توزيع وجبة الغداء ، كان النظام أشبه بالنظام العسكري ولولا زيهم البوذي الأحمر وكونهم حفاة الأقدام لقلت أنني في معسكر أحد الجيوش النظامية ... وجبتهم الغذائية كانت الرز وعليه قليل من سائل أشبه بالحساء ، أما الطبخ فيتم بواسطة مواقد كبيرة وقودها من الحطب وخلال توزيع وجبة الطعام لا يحضر كافة التلاميذ وإنما يأتي من كل مجموعة معينة شخص واحد كانوا يصطفون بطابور منتظم واحد بأنتظار دورهم لتوضع حصة كل تلميذ منم في القدر الصغير الذي يحمله بيده وسط أنظار وكاميرات السياح الذين اصطفوا على جانبي الطريق**

المؤدي إلى مطبخ الدير في هذا المكان المزدحم بالسياح والتلاميذ لا تسمع صوتاً أبداً غير زقزقة الطيور على الأشجار التي تغطي بنايا الدير وشوارعه فالصمت يعم المكان)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ٣٣ – ٣٤ ، وللمزيد ينظر : ٣١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٥٤ – ٥٥ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٣) .

قدمت الأوصاف السابقة صوراً إيجابية للقارئ عن الآخر الذي التزم بالقوانين التزاماً دقيقاً وخضع للأنظمة وانفتح على الآخر (السياح) والتعامل معهم بذوق راقي واحترام كبير لوعيهم بأهمية السائح وموثوقية عدسته إذ ينقل عاداتهم وطقوسهم إلى قومه فيجب أن تكون الصورة حقيقية وجميلة فهذه الأوصاف وغيرها تبين انبهار الرحالة بالآخر والتزامه واحترامه للقوانين والأنظمة وأثر ذلك على تنمية البلاد وازدهارها مما يعمق الشعور بالبون الشاسع بين الأنا والآخر لافتقاد الأنا ذلك النظام المنضبط وسيادة الفوضى واللانظام في حياة الأنا في جوانبها كلها .

ب- القيمة التفسيرية (ينظر : حليفي ، ٢٠٠٨ ، ٣٠١) : وهو ذلك الوصف الذي يفسر الأحداث والطبائع والعادات والتقاليد ليكشف التمايز والاختلاف ويقدم للقارئ معرفة خاصة عن الآخر تتعلق به من دون سواه لذا سجل أوصافاً شكلت مادة معرفية ثرة عن الآخر من ذلك وصفه للمرأة الموريتانية **((فأنها تهتم كثيراً بأناقتها وجمالها وتحافظ على بشرتها من شمس موريتانيا اللاهبة وبعضهم يضعن مادة لونها قريبا للزرقة على وجهن لوقاية بشرة وجوههن من حرارة الشمس ويقاس جمال المرأة الموريتانية بسمنتها والسمينة تعتبر الاجمل وتكون مرغوبة لدى الرجال لذا اتخذت طريقة قديمة لتسمين الفتيات تسمى ((التبليح)) والتبليح هو عملية ارغام الفتاة عندما تبلغ العاشر من عمرها على شرب كميات كبيرة جداً من حليب الابل يومياً))** (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٠٤ ، وللمزيد ينظر : ١١٢ ، ١٣٥ ، ١٦٣ ، ١٦٥) ، فالمشهد الوصفي السابق بين صورة المرأة والعادات والتقاليد التي تتبعها المرأة وأسرتها وهي عادات خاصة بذلك الشعب من دون غيره اعتمد الرحالة في تسجيل للوحات الوصفية السابقة على المشاهدة وعلى المعلومات المسموعة .

ج- القيمة الجمالية : وهو الوصف الذي يقف على الأمكنة وقفة تأملية ليسجل موجوداتها فتتحول عين الرحالة إلى عدسة كاميرا تعمل على تحديد الصورة البصرية للمكان أولاً وتفعيل السرد عن طريق استمرارية توليد الصور الوصفية ثانياً وتقديمها إلى المتلقي مشفوعة بالصور الفوتغرافية التي تجسد المكان وتكون سنداً للغة الواصفة وبهذا فجمالية الوصف تعمل على إبطاء حركة السرد المتنامية إلى الامام بهدف تقديم مشهد ممزوج بالتأمل (أبو ناظر ، ١٩٧٩ ، ٩٩) .

فمن أوصاف الرحلة ذات القيمة الجمالية وصفه لميناء (كيب تاون) إذ يقول ((**فتوجهت إلى منطقة ساحلية قرب الميناء فهناك استطيع أن أرى جمال الطبيعية ورمز كيب تاون إلا وهو الجبل الذي نصفه يشبه المثلث من بعيد ونصفه الآخر يشبه المستطيل ، جلست على أريكة قبالة البحر وكانت هناك عدداً من البواخر واليخوت السياحية آتية وغادية ترسم كل منها خلفها خطاً بالماء يبين مسارها . كيب تاون كانت أهم الموانئ العالمية التي تربط الشرق بالغرب ... وبينما كنت أمتع نظري بجمال طبيعة كيب تاون جبالا وسهولا وبحرا ... بدأ قرص الشمس يميل لونه إلى الاحمرار ويختفي خلف البحر فاختفيت أنا الآخر بين زحمة الناس**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٣٠ – ١٣١) ، فجمالية المكان وأهميته الجغرافية والاقتصادية أثارت الرحالة فعمد إلى وصفه ونقله إلى القارئ إذ وقف على تفصيلات المكان بطريقة تعريفية يظهر فيها حيوية المكان بوصفه حلقة وصل بين الغرب والشرق ومحطة رئيسة لاستراحة السفن وتصليحها إلى جانب ثرواته السمكية (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٣١ ، وللمزيد ينظر : ١٢١ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١) فقد تعددت المشاهد التي وصفها في النص من الساحل إلى الجبل إلى السفن وحركتها في المياه إلى السماء وغياب الشمس فجاء التداخل الصوري على وفق تناسق متناغم سردياً يجعل المتلقي يعيش الواقع الذي ينقله الرحالة ، وهنا تكمن القيمة الجمالية في تحقيق التواصل بين القارئ والنص والمبدع .

٣- التضمين الحكائي :

يشكل التضمين الحكائي تقنية معرفية يستعملها الرحالة لينوع طرائق السرد أولاً وليبين للقارئ وجهة نظره ثانياً ويظهر قابلية النص الرحلة على التنافذ الاجناسي وتعدد الأصوات وانصهار الرؤى ثالثاً لذا يمكن الانتقال من الواقعي إلى المتخيل المسموع أو المقروء لأن السفر يعدُّ حافزاً لذكر موضوع يتعلق بالعقيدة أو المذهب في نسيج حكائي يمتص مجموعة من التحويلات السردية والدلالية (قانت ، ٢٠١٤ ، ١٥٨) ، فالمتخيل الحكائي في رحلات عبد المنعم الديراوي كان إشارة إلى عقائد الشعوب وتقاليدها واعرافها لأنها تعالج علاقة الإنسان بالكون حينما يتوغل باتجاه تفسير الظواهر الطبيعية والظروف الغامضة التي تثير قلقه وتنغص حياته فتدفعه إلى التساؤل وإثارة الجدل (قصير ، ١٩٧٦ ، ١٢ – ١٣) فعندما يفشل في الحصول على إجابات يلجأ إلى نسج الحكايات المتخيلة التي تبتعد عن الواقع ولكنها بمرور الزمن أصبحت جزءاً من الإرث التاريخي للشعوب فلكل أمة حكاياتها التي تفسر ظواهر حياتها ومعتقداتها .

فعبد المنعم الديراوي عمد إلى بيان أصول الديانات المختلفة وارجعها إلى حكايتها الأم فمن المعتقدات التي ذكرها الرحالة ولها ارتباط بالسرد الأسطوري (عبدة الافعى) حيث تقول اسطورتهم **((مر الآله شيفا يوماً ببستان جميل تتوسطه بحيرة ... وكانت أشجار جوز الهند المائلة نحو البحيرة مثمرة فقرر شيفا تسلق أحدى تلك الأشجار ليقطف ثمار جوز الهند ولما بلغ أعلى الشجرة سقط منها في مياه البحيرة لأنها كانت مائلة نحوها فخرجت من تحت الماء أفعى ضخمة جداً واقتربت منه لتبتلعه لكنه قاومها واستمر الصراع بينهما لوقت طويل ولما أرهقا وتعبا من شدة الصراع قال الاله شيفا للأفعى لتكون هذه هي المرة الأخيرة لصراعنا فأن غلبتني فأبتلعيني وأن غلبتك تحمليني على ظهرك إلى ضفة البحيرة وتتركيني أذهب إلى سبيلي ، وافقت الأفعى على ذلك وبدأ الصراع بينهما من جديد إلى أن تغلب شيفا على الأفعى فحملته على ظهرها وأوصلته إلى ضفة البحيرة وغادرها سالماً))** (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٦٥) وقد سمع الرحالة هذه الحكاية من الكاهن الهندوسي في معبد الأفعى بمدينة (نيوجليا يكورى) الهندية الواقعة بين بنغلادش والنيبال ومملكة يونان (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٦٥ وللمزيد من الاساطير ينظر : الآلهة كوماري : ١٦١ ، واسطورة كانيش : ١٨٥) فالرحالة كان مروياً له من قبل الكاهن ثم تحول إلى راوٍ عندما نقلها وسجلها في رحلته ليعرف القارئ بأصل عبادة الأفعى عند بعض الهندوس .

أن التضمين الحكائي في الرحلة يتجاوز البعد الاخباري إلى قصدية تواصلية يظهر عن طريقها للمتلقي عقائد الآخر غير المنطقية التي ترسم هوية بدائية في التفكير تبتعد كثيراً عن العقل وتتبع الظن والاسطرة فمن غرائب المعتقدات حكايته المسموعة عن قبور الخيتانو **((الخيتانو يعتقدون بأن النهار للأحياء والليل للأموات فهم لا يدفنوا موتاهم تحت التراب في تلك المغارات وإنما يحفرون مغارة صغيرة جداً على الجهة الغربية تحديداً ويأتون بجثمان الميت ويجلسوه مقابل بوابتها ويسندوا الجثة بعصي كي تبدو كأنها في وضع الجلوس ويضعون أمام الجثة إنائين واحد ماء والآخر فيه رز لاعتقادهم بأن الشمس عندما تغيب ينهض الأموات ويمارسوا حياتهم الطبيعية دون أن يراهم الاحياء ويعتقدون أيضاً بأن موتاهم يزورون بيوتهم ولكن أهلهم لا يروهم أما الرز والماء فيوضع أمام الميت لكي يأكل ويشرب منه عندما تغيب الشمس وعندما تشرق من جديد فهم يعودوا لتلك المغارات لهذا نرى المغارات مفتوحة وليست مغلقة))** (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٣٩ – ١٤٠) .

فالرحالة هنا هو مروي له من قبل صديقه الاسباني الذي سرد له حكاية الخيتانو ومعتقدهم واحترام الأسبان لهم وعدم التدخل في أفكارهم ومعتقداتهم لأن تدخلهم يعدّ إساءة قد تؤدي إلى القتل (ينظر : الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٤٠) فالرحالة يصر على ذكر هذه التفصيلات ليوحي القارئ كيفية تعامل الأمم مع المعتقدات وأهمية الاحترام وعدم التجاوز مهما كانت هذه

العقائد ومهما كانت مرجعياتها لأنها حرية مكفولة قانونياً وكأنه يعقد مقارنة ضمنية بين تلك البلاد واحترامها للمعتقدات وبين ما يحصل في العراق من تعصب طائفي أودى ولازال يودي بحياة الآلاف.

وتتضمن الرحلة أحياناً تفاصيل توضح هوية مؤسسي بعض الديانات فيوردها الرحالة بطريقة السرد الحكائي التعريفي معتمداً في ذلك على آلية السماع من الآخر ليسقط عن نفسه تبعة ما يحكي من أمثلة هذه الحكايات حكاية مؤسس الديانة السيخية إذ يسرد عنه فيقول ((**وعن حياة مؤسس هذه الديانة يقال بأنه كان خادماً هندوسيا قبل أن يؤسس الديانة السيخية يعمل لدى أحد أثرياء المسلمين بالهند ولما عزم هذا المسلم على الذهاب إلى الحج أصطحب معه عدداً من الخدم ومن بينهم هذا الرجل حيث أدى مناسك الحج مع سيده بالرغم من أنه هندوسيا واطلع على تعاليم الدين الإسلامي بل حفظها وبعد عودته من الحج إلى الهند فكر بأن يؤسس دينا جديدا يجمع فيه المسلمين والهندوس في دين واحد ففي تلك الفترة كانت المعارك مستمرة في هندستان بين المسلمين والهندوس بسبب ذبح المسلمين للبقر وأكل لحمها فدون تعاليم دينه الجديد التي يعتمد اغلبها على تعاليم الدين الإسلامي وراح يبشر بدينه هذا معتمدا على ما دونه فيما يسمى بـ (الكتاب الأعظم) ودخل دينه الجديد [عدداً كبيراً] من المثقفين الهندوس آنذاك وبنوا معبدا كبيراً ليمارسوا فيه طقوسهم وصلاتهم يسمى بـ (المعبد الذهبي) في البنجاب شمال غرب الهند**)) (الديراوي ، ٢٠١٩ ، ١٨٩ – ١٩٠ ، وللمزيد ينظر : سرده الحكائي عن مؤسس الديانة البوذية : ١٩٢ – ١٩٣) .

يحاول الرحالة عبر سرده المسموع نقل الهوية الدينية للسيخ إذ حاول مؤسسها التوفيق بين الهوية الإسلامية والهوية الهندوسية ليقضي على الصراع القائم بين الهويتين عن طريق الكتاب الأعظم الذي يمثل هذه الديانة وتشريعاتها وهذا يبين أن تعدد الممارسات الدينية في الهند وتنوعها يرجع إلى اجتهادات فردية استطاعت تجميع الناس حولها واقناعهم بمحمولاتها الفكرية والمعرفية فتفرض السلطة الدينية على الآخرين ثم ينسى الأصل ويبقى التقليد .

فالنص الرحلي تتحكم في تشكيله السردي عناصر عدّة تجمع بين الواقعي والمتخيل لتنقل للقارئ معتقدات الآخر واختلافاته الجديرة بالذكر والنقل والرحالة مجال البحث كان حيادياً فيما ينقل فلم يسخر من الآخر ولا من ممارساته الدينية المختلفة إذ يعدّها حرية شخصية جبل عليها واعتاد القيام بها .

الخاتمة

- أن النص الموازي الذي قدمه الرحالة شكل عتبات نصية اثارت المتلقي لمتابعة قراءة النص لأنه جمع في تلك العتبات المألوف واللامألوف عن طريق التصورات المسبقة والمشاهدات الحقيقية فكانت عتبات دلالية مرتبطة بمتنها أشد الارتباط .
- وقد لخص الرحالة في مساراته الرحلية الخمسة عادات الشعوب وتقاليدها وخصائص البلدان ونظامها الاقتصادي وثرواتها ونظامها السياسي وفصل في الجانب الديني لاسيما الشعائر المختلفة التي تميز بعض الطوائف وأوضح أثر السياسة الخارجية وتدخلاتها في البلاد ذات الثروات الطبيعية إذ يعمد الاستعمار إلى خلخة أوضاع البلد وزرع بذور التفرقة والطبقية ليحكم قبضته على البلاد .
- قدم الرحالة الحقائق عن طريق الحوار مع الآخر لذا نجد أن رحلاته كانت نابضة بتعدد الأصوات ووعاء لوجهات النظر المختلفة وهذا الأمر يعضد الحقيقة التي خرج الرحالة باحثاً عنها إلى جانب ذلك شكل الوصف ثروة معرفية بين فيه للقارئ حياة تلك البلدان وطريقة عيشهم وكوّن التضمين الحكائي فعلاً سردياً خاصاً إذ نقل المتلقي إلى عوالم متخيلة بعيدة عن الواقع إلاَّ أنها بفعل الممارسة تحولت إلى معتقدات راسخة عند بعض الطوائف .

ثبت المصادر

- أبو ناضر ، موريس ، ١٩٧٩م ، الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة ، دار النهار ، بيروت .
- بلعابد ، عبد الحق ، ٢٠٠٨م ، عتبات جيرارجينيت من النص إلى المناص ، منشورات الاختلاف ، بيروت ، لبنان ، ط١ .
- التميمي ، د. صباح حسن عبيد ، ٢٠١٨م ، شعرية النص الموازي في الخطاب الشعري المعاصر – المقولة والإجراء ، الدار المنهجية ، عمان ، ط١ .
- جبار ، د. سعيد ، ٢٠١٣م ، التخييل وبناء الانساق الدلالية – نحو مقاربة تداولية ، رؤية، القاهرة .
- جبار ، د. سعيد ، ٢٠١٧م ، خطاب الرحلة ، الذاكر وآليات انتاج الدلالة ، رؤية القاهرة.
- حليفي ، د. شعيب ، ٢٠٠٨م ، الرحلة في الأدب العربي ، التجنيس ، وآليات الكتاية ، خطاب المتخيل – رؤية القاهرة – .
- حليفي ، د. شعيب ، ٢٠١٥م ، هوية العلامات في العتبات والتأويل ، رؤية ، القاهرة .
- الديراوي ، عبد المنعم ، ٢٠١٩م ، رحلاتي بين الغرائب والعجائب ، دار الأدب البصري ، العراق .
- ريكور ، بول ، ٢٠٠٩م ، الذاكرة والتاريخ ، ترجمة : جوزيف زيناني ، دار الكتاب الجديد، ط١ .
- الساوري ، بوشعيب ، ٢٠١٤م ، صورة الآخر في رحلت عربية – من القرن العاشر الميلادي إلى القرن الواحد والعشرين – ، النايا ، بيروت ، لبنان ، ط١ .
- عويز ، أحمد ، ٢٠١٧م ، الذاكرة والمتخيل – نظرية التأويل عند غاستون ، باشلار –، بيروت – لبنان ، ط١ .
- قانت ، د. بشرى ، ٢٠١٤م ، الخبر والحكاية – التشكيل الدلالي في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي – ، رؤية ، القاهرة .
- فهيم ، حسن محمد ، ١٩٨٩م ، أدب الرحلات ، عالم المعرفة ، عدد ٣٨ ، الكويت .
- القاضي ، محمد وآخرون ، ٢٠١٠م ، معجم السرديات ، تونس ، ط١ .
- قصير ، يوسف أمين ، ١٩٧٦ ، حكايات وفلسفة ، مطبعة شفيق .
- مودن ، عبد الرحيم ، ١٩٩٦ ، أدبية الرحلة ، دار الثقافة .

Sources and References

- Abu Nadir, Maurice, 1996, *Linguistics and Literary Criticism in theory and Practice* , Beirut.
- Al-Lahham, Abdul Ahad, 1988, *Considerations of Gérard Genette from Text to Paratext*, Publications of Al-Ikhtilaf, Beirut, Lebanon, 1st Edition.
- Al-Muhaini, Sabah Hussein Obeid, *Structuralist Concerns in Poetic Discourse: Open Elements and Dramaturgical Procedures*, Amman, 1st Edition.
- Girard, Sadiq, 2009, Imagination and the Construction of Semantic Systems – Towards a Pragmatic Approach, Vision, Cairo.
- Girard, Sadiq, 2004, Travel Discourse, Memory, and the Mechanisms of Meaning Production. Vision, Cairo.
- Hilfi, Shuayb, 2015, Travel in Western Literature – Genre and Writing Mechanisms, The Discourse of the Imaginary. Vision, Cairo.
- Al-Dirawi, Abd al-Mun'im, 2019, My Journeys Between Wonders and Marvels, Dār al-Adab al-Baṣrī. Iraq.
- Ricoeur, Paul, 2014, *Memory and History* , Translation by Joseph Zenati, Beirut Publishing House.
- Al-Samouri, Bouchaib, 2014, *The Image of the Other in Arabic Travels: From the 10th Century to the 21st Century*, Beirut, Lebanon, First Edition.
- Oueiz, Ahmed, 2017, Memory and the Imaginary: The Theory of Interpretation in Gaston Bachelard, Beirut, Lebanon, 1st Edition.
- Faheem, Mohammed, 1989, Travel Literature, Alam Al-Ma'rifa, Kuwait, Issue 38.
- Al-Qadi, Mohammed, and others, 2010, Dictionary of Narratives, Tunisia, 1st Edition.
- Qanit, Bushra, 2014, The Report and the Tale: Semantic Formation in "Al-Imtāʿ" by Abu Hayyan al-Tawhidi.
- Qasir, Youssef Amin, 1976, Tales and Philosophy, Sfiq Printing Press.
- Mouden, Abdul Rahim, 1996, The Literariness of Travel Writing, Dar Al-Thaqafa.